الخصوصيات الثقافية في ظل إعلام العولمة
بين ثقافة الأصالة وثقافة الحداثة

السعيد سليمان عواشرية*

الملخص

تبحث الورقة في التحدي الذي يمثلة إعلام العولمة للخصوصيات الثقافية لبلدان العالم بصفة عامة والبلدان العربية والإسلامية بصفة خاصة، وتكشف عن أهم المشكلات التي يعاني منها الإعلام العربي في مواجهة ذلك التحدي. وتزداد حدة المشكلات حين لا يتوفر البديل الإعلامي المناسب، ويعاني ما تيسر منه فيها من معوقات عدة.كما اقترحت الورقة بعض الاستراتيجيات الكفيلة بمواجهة تحديات إعلام العولمة، وتقديم تصور للبديل الإعلامي الذي من شأنه تحقيق ذلك، موظفاً بعض سمات الحداثة في البناء المنشود، بصورة تربط ماضي الأمة بحاضرها من أجل المستقبل، وتؤسس على ثقافة الأصالة، في إطار الاحترام والاعتراف بالآخر.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، الخصوصيات الثقافية، إعلام العولمة، الأصالة، الحداثة.

Cultural specificities in light of media globalization
between culture of originality and culture of modernity

Abstract

The paper examines the challenge posed by the globalization of the media to the cultural specificities of the countries of the world in general and the Arab and Islamic countries in particular. It reveals the problems of the Arab and Muslim media in facing that challenge.The problems become more acute when there is no appropriate media alternative, and with presence of the constraints that limit the function of what is available.

The paper also suggests some strategies to meet the challenges of media globalization, an introduce and alternative media that employs some attributes of modernity, links the nation past with its present to build its future, and establish a culture of authenticity in a framework of respect and recognition of the other.

Keywords: Culture, Cultural specificities, Media globalization, authenticity, Modernity.

---

* دكتوراه علوم في علم النفس وعلوم التربية –تخصص أرطوفونيا–، من جامعة سطيف –الجزائر–، ٢٠٠٦، أستاذ محاضر (أ) في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، بجامعة باتنة –الجزائر. البريد الإلكتروني: rimasma2012@yahoo.fr

تم تسلم البحث بتاريخ ٢٠١٤/٦/١م، وقُبل للنشر بتاريخ ٢٠١٤/١١/١٤م.

مقدمة:

نظراً لكون وسائل الإعلام تقدم قدراً كبيراً من المعلومات عن العالم، وعن أمور لا نستطيع أن نعلم بها على نحو مباشر، فإنها تصبح مناسبة أكثر للتأثير فينا، لأنها تضيف المزيد لتصورنا للواقع، وتؤثر بقوة في الطريقة التي نبني بها أجزاء من الظروف المحيطة بنا، بصورة قد لا تتوافق مع هويتنا الثقافية في ضوء ما تقدمه من برامج، خاصة في ظل بروز العولمة الثقافية، وهو الذي أيقظ المفكرين، والباحثين من أجل تدارك مخاطرها، والاستفادة من حداثتها بما لا يشكل خطراً على الأصالة العربية الإسلامية.

إن الاختراق الثقافي يكرِّس منظومة معينة من القيم الوافدة التي تسري ببطء وثبات داخل منظومة القيم المحلية، ويمكِّن لهذه القيم الغربية محلها، وبذلك أخذت تملأ مخيلة هؤلاء بأبطال ورموز جديدة، بدءاً بعارضات الأزياء ونجوم الكرة، وصولاً إلى رموز الفن والسينما والأعمال والألبسة والأطعمة، وأنماط السلوك، والمفردات اللغوية المتكررة. كل هذا خلق نوعاً من الصراع القيمي بين النمط الجديد الوافد والثقافة الأصلية، وانعكس تأثيره على شخصية الطفل العربي، حتى أصبحت تظهر عليه علامات الازدواج في سلوكه وتعبيراته.

ويأتي طرحنا هذا استناداً إلى استقرائنا لبعض جوانب الواقع العربي، التي توحي بأن مُثُلَنا العليا لم تَعُدْ هي العمل، والرقي، والعروبة، والإسلام، والثقافة الرفيعة، بل صارت ثقافة استهلاكية، تتلخص في أقذر ما ينتجه الغرب من أفكار وممارسات. إن شخصيات الأمة التي هي موضع القدوة، لم تعد: "المحاسبي، والغزالي، وابن رشد، وابن تيمية، وصلاح الدين الأيوبي" بل غدت تلك شخصيات "هوليود" ذات الرؤية الغربية.

ومن هنا يمكن القول إن الوضع الذي آل إليه العرب والمسلمون، وشكَّل صورتهم المتداولة في العالم قد يكون جزءٌ منه نتيجة للإعلام العربي، سواء لأنه لم يؤدِّ وظيفته كما ينبغي، أو لأنّه تخلى عن وظيفته، أو فشل في مواجهة إعلام العولمة، الذي بذل كل ما في

وسعه لتهيئة الأرضية الملائمة لنقل الثقافة الجديدة، من خلال تحرير إرادة الشعوب المستهلكة من القيود الاجتماعية، والثقافية، والفكرية، التي يرى منظِّرو العولمة أنها تعيق التقبُّل، وذلك عن طريق الاستخدام الموجَّه للإعلام على حد تعبير "هيربرت شيللر"Herbert Schiller.[١]

لقد غدا الإقبال على الثقافة المستوردة –كما يرى بعض المفكرين– غير ناجز إلا من خلال فضلاتها، لا من خلال إيجابياتها والمكتسبات الحضارية النافعة، خاصة إذا علمنا أن دور الإعلام يتمثل في نقل المعلومات بصورة أقرب ما يكون للموضوعية، والحيادية، غير أنه يعكس المضامين الثقافية التي تشكل خلفية وكالات الأنباء التي يسيطر عليها الغرب، وهذا لا ينفي المجهودات المبذولة، والنتائج الإيجابية لبعض محاولات الإعلام العربي، التي حاولت إحداث نمط مقبول من التغيير الاجتماعي، والتكييف بين ثقافة الأصالة وثقافة الحداثة. وهذا دليل على أن الإعلام العربي قادر على بناء الحداثة الثقافية دون المساس بثقافة الأصالة، غير أن ذلك تعذر عليه، لوجود بعض المشكلات التي حالت بينه، وبين تحقيق ذلك، خاصة في ظل إعلام العولمة، وهنا نتساءل:

– ما سمات إعلام العولمة، وأهدافه؟

– ما أثر إعلام العولمة في الخصوصيات الثقافية العربية في ظل الإعلام العربي العاجز عن المواجهة؟

– ما المشكلات التي تواجه الإعلام العربي في حماية النسيج الاجتماعي للأمة العربية والإسلامية، وتأصيل جذور الهوية الثقافية العربية الإسلامية، والتفاعل مع الثقافات الأخرى في ظل إعلام العولمة؟

– ما السبل الكفيلة بالخروج من تلك المشكلات وجعل الحداثة طريقا للبناء المنشود، وربط للماضي بالحاضر من أجل المستقبل، دون معادة لمحاور ثقافة الأصالة، وذلك في إطار الاحترام، والاعتراف بالآخر؟

[١] هربرت، أ. شيللر. **المتلاعبون بالعقول**، ترجمة: عبد السلام رضوان، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٤٣، ط٢، ١٩٩٩م.

أولاً. ضبط المفاهيم

١. الخصوصية الثقافية:

لقد أصبحت قضية احترام الخصوصيات الثقافية مسألة مسلَّماً بها داخل اليونسكو، وإحدى الركائز التي توجه سياساتها وبرامجها وأهدافها. وتجسيداً لذلك أدرجت اليونسكو في مشروع البرنامج والميزانية عن الفترة ١٩٨٤-١٩٨٥ برنامجاً رئيساً عن الثقافة والمستقبل، تضمَّن برنامجاً فرعياً عن "الخصوصية الثقافية والعلاقة بين الثقافات"، غرضه تشجيع معرفة الثقافات، وتعزيز الوعي بالذاتيات الثقافية، والتعبير عنها، وتحضير الدراسات والبحوث التاريخية بشأن الثقافات، ورسم وتنفيذ سياسات للنهوض باللغات الوطنية أو المحلية أو الإقليمية، وتنمية المبادلات الثقافية والفنية والإقليمية.[٢]

ومن هذا المنطلق حاولت أوروبا، وعلى رأسها فرنسا -من أجل الدفاع عن موقعها في السوق- أن تطرح مبدأ الخصوصية الثقافة، غير أن هذا الطرح لم يحقق إلا نجاحاً جزئياً، تمثل في الحصول على الموافقة على مبدأ التعامل الخاص المحدود في مجال الإنتاج السمعي والمرئي.[٣]

ويمكن تعريف الخصوصية الثقافية بأنها نتاج تفاعل مجموعة من المكونات المتمثلة أساساً في العقائد والعادات والقيم الأخلاقية والاجتماعية، التي تساهم في صقل شخصية فردية لها سماتها الذاتية. غير أن هذه الأخيرة لا تنفي ألبتة إمكانية الالتقاء مع الثقافات الأخرى في بعض العناصر.

٢. العولمة الثقافية:

لقد ارتبط المفهوم الثقافي للعولمة بفكرة التنميط أو التوحُّد الثقافي للعالم، على حدّ التعبيرات التي استخدمتها لجنة اليونسكو العالمية للإعداد لمؤتمر السياسات الثقافية من

[٢] ميثاق الأمم المتحدة والنظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، الفصل الأول: في مقاصد الهيئة ومبادئها، ٢٦جوان ١٩٤٥م، المادة:١، الجزئية رقم: ٣، ص٥، والفصل الثالث: في فروع الهيئة، المادة: ٨، ص٥٨.

[٣] راجع في ذلك وثيقة المؤتمر العام لليونسكو، الدورة الثانية والعشرون، مشروع البرنامج والميزانية للفترة ٨٤-١٩٨٥، باريس، ١٩٨٣م، ص١٦٢.

أجل التنمية، التي عقدت اجتماعاتها في مدينة استكهولم عام ١٩٩٨؛ إذ رأت اللجنة أن التنميط الثقافي يتم باستغلال ثورة وشبكة الاتصالات العالمية، وهيكلها الاقتصادي الإنتاجي المتمثل في شبكات نقل السلع، وتحريك رؤوس الأموال. كما أن التنميط أو التوحّد الثقافي هو مرآة التطور الاقتصادي للعولمة.[٤]

وهو ما يؤدي إلى تسليع الثقافة؛ إذ تصبح الثقافة التي لا تعتمد على منطق السوق مهددة في وجودها وبقائها؛ لأن منطق السوق يقتضي توفر القدرة على الاستثمار، وهو ما لا تملكه الدول النامية.[٥] ومن ثمّ تصبح مجرد سوق لاستهلاك الثقافة الواحدة، التي هيأ لها إعلام العولمة الأرضية الملائمة للتقبُّل، بالتأثير على أول مصنع لها ألا وهي الأسرة، من خلال تحرير إرادة المستهلكين من القيود الاجتماعية والثقافية والفكرية المعيقة للتقبُّل، بالاستخدام الموجه للكلمة والصورة.[٦]

إن تعدد الثقافات من وجهة نظر دعاة العولمة هي السبب الرئيس للانقسام بين الشعوب، والحلُّ –في نظرهم– هو اندماج الثقافات في ثقافة واحدة. وقد تكرَّس هذا الوضع على مستوى منظمة اليونسكو، التي دعت لجنتها المكلفة بالإعداد لمؤتمر السياسات الثقافية من أجل التنمية، التي عقدت اجتماعاتها في مدينة استكهولم عام ١٩٩٨ برئاسة "خافيير بيريز دي كويلار" Javier Pérez de Cuéllar الأمين العام السابق للأمم المتحدة، إلى فكرة التوحيد الثقافي بوصفها مرآة التطور الاقتصادي للعولمة.[٧]

ولا شك في أن هذا الإقرار على مستوى منظمةٍ بحجم اليونسكو يحمل خطورة كبيرة، خاصة وأنه بمثابة تراجع عن فكرة التعددية الثقافية التي أقرها ميثاقها التأسيسي،

[٤] المرسي، كمال عبد الغني. **العلمانية والعولمة والأزهر**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م، ص٩٣.
انظر أيضاً:
– بوجلال، عبد الله. "إشكالية الوفرة الإعلامية والمعلوماتية في ظل العولمة"، **مجلة الحقيقة**، جامعة أدرار، الجزائر، عدد١، ٢٠٠٢م، ص٩٣.

[٥] بلقزيز، عبد الإله. "العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة"، **مجلة المستقبل**، مركز دراسات الوحدة العربية المستقبل العربي، عدد٢٢٩، ١٩٩٨م، ص٩٤.

[٦] السيد، أحمد مصطفى عمر. "إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك"، **مجلة المستقبل العربي**، عدد٢٥٦، ٢٠٠٠م، ص٧٢.

[٧] المرجع السابق، ص٧٤.

وتناقضٍ مع ما أُقرَّ في الإعلان العالمي الصادر عن المؤتمر العالمي بشأن السياسات الثقافية، الذي عقد في موسكو عام ١٩٨٢، وركز على مسألة التعددية الثقافية ومبدأ احترام الخصوصيات الثقافية، وما موقف اليونسكو آنذاك من إعادة كتابة "تاريخ التطور العلمي والثقافي للإنسانية" إلا دلالة على الاعتراف بمسألة التعددية.[٨] وهكذا أضفيت الشرعية على عولمة الثقافة في منظمة علّقت عليها الشعوب آمالها لتحافظ على خصوصياتها الثقافية وتعزيزها.

٣. إعلام العولمة:

يُعرَّف إعلام العولمة بأنه "نظام عالمي جديد يقوم على العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون الاعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم."[٩]

ويعرَّف -أيضاً- بأنه "سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، وإنما تطرح حدوداً فضائية غير مرئية، ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية، لتقيم عالماً من دون دولة، ومن دون أمة، ومن دون وطن ليحلّ مكانه عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمرة منظمات ذات طبيعة خاصة وشركات متعددة الجنسيات، يتسم مضمونه بالعالمية والتوحّد، على الرغم من تنوع رسائله التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز الزمان والمكان واللغة، لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء."[١٠]

٤. الحداثة:

يؤرخ بعض المفكرين بداية الحداثة عام ١٤٣٦، باختراع غوتنبيرغ للطباعة المتحركة، ويرى آخرون أنها بدأت منذ العام ١٥٢٠ مع الثورة اللوثرية ضد سلطة الكنيسة. مجموعة

---

[٨] المرجع السابق، ص٧٤.

[٩] نافعة، حسن، "اليونسكو وقضايا التعددية الثقافية والحضارية (رؤية عربية)"، **مجلة السياسة الدولية**، مصر، مؤسسة الأهرام، عدد١٢٧، ١٩٩٧م، ص٢٣-٢٤.

[١٠] كورتل، فريد. "الوطن العربي وتحديات العولمة"، **مجلة الحقيقة**، جامعة أدرار، الجزائر، عدد١، ٢٠٠٢م، ص١٢٣.

أخرى من المؤرخين يتقدمون بها إلى العام ١٦٤٨ مع نهاية حرب الثلاثين عام، ومجموعة خامسة تربط بينها وبين الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ أو الثورة الأمريكية عام ١٧٧٦، وقلة من المفكرين يظنون أنها لم تبدأ حتى عام ١٨٩٥.

جاء في موسوعة يونيفارساليس: "تعد تحولات البنى السياسية والاقتصادية والتكنولوجية والنفسية العوامل التاريخية الموضوعية لظهور الحداثة، فهذه التحولات ليست هي الحداثة في حد ذاتها... فالحداثة ليست هي الثورة الصناعية والتكنولوجية، ولكنها إدخال لهذه الثورة في مسرح الحياة الشخصية والاجتماعية."

فالحداثة في جوهرها خصوصية غربية بما حملته حضارة وإنسان يعيشان حالة من الأزمة بسبب التطور العلمي والفكري الذي استمر طوال ثلاثة قرون من الزمن، وهو ما جعل السمة الأساسية للحداثة في أنها ميّزت المجتمع الغربي الحديث، وما يطلق عليها بالتجاوز المستمر. ويمكن لنا القول إن الحداثة الغربية احتوت القيم الآتية:

أ. التمرد على القوانين وطرق التعبير والتقاليد الفنية المألوفة.

ب. تحرير الفرد من سلطة المؤسسات بكل أنواعها، ومن ضمنها مؤسسة الأسرة التي تعد في نظرها صورة من صور القهر، مع ما يعنيه ذلك من إخراج العلاقة بين الجنسين من دائرة الأسرة، واعتماد مقاربة النوع التي لا تؤمن بالفروق الجوهرية بين الجنسين، وتدعو إلى حق الشذوذ الذي يصل إلى المطالبة بحق الزواج المثلي (الذي صادقت عليه مجموعة من الدول الأوروبية انسجاماً مع هذا المفهوم الجديد للحرية).

ت. إلغاء المعنى المسبق في النصوص، بما فيها النصوص الدينية وربط الدلالة بالمتلقي-انطلاقاً من مقولة موت المؤلف- والقول بالدلالات غير النهائية للنص، وتكريس مذهب الشك في كل الحقائق والمفاهيم.

ث. اعتبار الدين تجربة بشرية قابلة للتجاوز ضمن ما تتجاوزه الحداثة، وإلغاء سلطته من خلال علمنة المجتمع، وإلغاء سلطة الأخلاق في مجال الإبداع.

ج. تمجيد التجارب المتأخرة زمنياً والمبالغة في التمرد داخل كل مذهب.

ح. تمجيد العقلانية والتفكير العقلاني، ووضعه في مقابل التفكير الديني، واعتبار هذا الأخير عائقاً أمام الحداثة، لاعتماده على المعرفة الوثوقية واليقينية، وإحلال العقل ومنجزاته العلمية محل الله في مركزية المجتمع.

خ. تمجيد الجسد والارتفاع به إلى مستوى التقديس.

د. التعبير عن مفاهيم تعكس وضعية التشرذم والأزمة التي يعيشها الإنسان الغربي، كمفاهيم الغربة واليأس والضياع. [١١]

٥. الأصالة:

يقتضي فهم الأصالة ما يلي:

– ضرورة معرفة ثقافتنا وفهمها: وفهم هذه الثقافة لا بدّ أن يكون من مصادرها الأصلية، ومن أهلها الثقات، وبأدواتها ومناهجها الخاصة.

– الاعتزاز بالانتماء العربي الإسلامي: يشعر المثقف العربي المسلم، الذي ينتمي إلى ثقافة العرب والمسلمين، أنه عضو في جسم هذه الأمة، وأنه متحرر من عقدة النقص التي يعاني منها بعض الناس تجاه كل ما هو غربي. إنه يعتز بلغته؛ لغة القرآن وبالعلوم، ويعمل على أن تكون لغة الحياة، ولغة العلم، ولغة الثقافة، وقد كانت لغة العلم الأولى في العالم كله لعدة قرون، فلا يجوز أن تعجز اليوم عمّا قامت به بالأمس.

– العودة إلى الأصول: أعني أصولنا وجذورنا العقدية والفكرية، والأخلاقية، والسعي إلى تحويل اعتزازنا النظري والعاطفي إلى سلوك عملي. إن الاعتزاز يصبح ظاهرة مرضيَة

[١١] ابن تركي، أسماء. "الهوية الثقافية بين قيم الأصالة والحداثة في ظل التغيرات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري"، الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية، الجزائر، ٢٠١١م، من شبكة المعلومات الدولية، تصفح يوم: ٢٠١٤/٠٤/٢٩، الموقع:

- http://manifest.univ-ouargla.dz/index.php/seminaires/archive/facult%C3%A9-des-sciences-sociales-et-sciences-humaines/53.

إذا ظل مجرد كلام يتردَّد، وشعارات تُرفع، وصيحات تتعالى، لسرد الأمجاد، وتعظيم الأجداد.

– الانتفاع الواعي بتراثنا والغوص في حضنه الزاخر، لاستخراج جواهره. ولا يتصور من أمة عريقة في الحضارة والثقافة أن تهمل تراثها وتاريخها الأدبي والثقافي، وتبدأ من الصفر، أو من التسول لدى غيرها.

ولا تعني أصالة الثقافة إهمال ثقافة الآخر وعدم الاطلاع عليها والإفادة منها، كما لا تعني ثقافة دينية بالمعنى الكهنوتي، وأيضاً ليست نشر العلوم الشرعية التخصصية التي تدرس في المعاهد كما هي عليه، بل تعني العودة إلى الأصالة منهجاً وقيماً ومصدراً في تنمية ثقافة المجتمع، أيا كان اتجاهها، أدباً أو فكراً أو فناً.[١٢]

ثانياً: الخصوصيات الثقافية وتحديات إعلام العولمة

١. سمات إعلام العولمة:

إذا كان الإعلام في الماضي لقريب متعلقاً بالأرض، فإن إعلام العولمة اليوم مرتبط بالفضاء اللامحدود مثلما هو الوطن الجديد للعولمة، فهو أيضاً وطن لإعلامها، فهو الوطن الذي تبنيه شبكات الاتصال الإلكترونية، وتنسجه الألياف البصرية وتنقله الموجات الكهرومغناطيسية.[١٣]

وبالرغم من اعتراض الحكومات على الصور والمعلومات والإيحاءات، وكل ما من شأنه زعزعة قيم خلية المجتمع الأولى الأسرة، غير أنها فشلت في نشر سيادتها على فضائها الجوي، ولم يعد للدول في هذا المجال سوى خيار واحد، وهو تسهيل الاتصال وسريان الإعلام لفائدة الشبكات العالمية.[١٤]

---

[١٢] السليم، فرحان. **الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة (١)**، صيد الفوائد، من شبكة المعلومات الدولية، تصفح يوم: ٢٠١٤/٠٤/٢٩، الموقع:

- http://www.saaid.net/Minute/158.htm.

[١٣] السيد، **إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك**، مرجع سابق، ص٧٧.

[١٤] عواشرية، رقية. "الأمن الثقافي العربي وتحديات إعلام العولمة"، ندوة الثقافة العربية الأفريقية في مواجهة التحديات الراهنة، سبها، ليبيا، ٢٠٠٤م، ج٢، ص٣٠.

ويمكن تلخيص أهم سمات إعلام العولمة في ما يلي:[١٥]

أ. إعلام متقدم من الناحية التكنولوجية، ومؤهل لتطورات مستقبلية جديدة ومستمرة تدفع به إلى المزيد من الانتشار المؤثر في المجتمعات المختلفة.

ب. يشكل جزءاً من البنية السياسية الدولية الجديدة، التي تطرح مفاهيم جديدة لسيادة الدولة على أراضيها وشواطئها وفضائها الخارجي.

ت. يشكل جزءاً من البنية الاقتصادية العالمية التي تفرض على الكل أن يعمل ضمن شروط السوق السائدة من صراعات ومنافسات وتكتلات، وسعي متصل لتحقيق الربح للمؤسسات التي تحتكره بحكم انتمائها إلى أكثر من وطن، وعملها في أكثر من مجال، بما في ذلك صناعة السلاح وتجارته.

ث. يشكل جزءاً من البنية الثقافية للمجتمعات التي تنتجه وتوجهه وتتوجه به، ولهذا فإنه يسعى إلى نشر وشيوع ثقافة عالمية، تعرف عند مصدرها بالانفتاح الثقافي، وعند متلقيها بالغزو الثقافي.

ج. يشكل جزءاً من البنية الاتصالية الدولية التي مكّنته من تحقيق عولمته، وعولمة رسائله ووسائله، فهو ينتمي إلى أحد حقول التكنولوجيا الأكثر تطوراً في الوقت الراهن والمحتكر.

ح. لا يستند إلى فراغ، فثمة اتفاقيات دولية تدعمها منظمات وقرارات تحدد استخدام شبكاته وتوزيع طيفه وموجاته السمعية وألياف البصرية، وبثه المباشر وتعريفاته الجمركية للصحف والمجلات والكتب والأشرطة.

خ. لا يشكل نظاماً دولياً متوازياً، لأن كل مدخلاته ومراكز تشغيله وآليات التحكم فيه تأتي من شمال الكرة الأرضية؛ أي إن تدفق الأفكار يأتي من جانب واحد، وهذا ما أدى إلى هيمنة الدول المتقدمة عليه دون الدول النامية.

---

[١٥] السيد، **إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك**، مرجع سابق، ص٧٦-٧٧.

٢. أهداف إعلام العولمة:

ومما لا شك فيه أن هذه السمات ستؤثر بدرجة ما في الخصوصية الثقافية للدول، خاصة في ظل الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، والتي يمكن تلخيصها في ما يلي:

أ. تحرير الشعوب من القيود الاجتماعية والثقافية والفكرية التي يعتقد منظِّرو العولمة بأنها عقبات تعيق تقبلها للثقافة الجديدة، عن طريق الاستخدام الموجَّه للكلمات والصور. وفي هذا يرى "هربرت شيللر" Herbert Schiller أن السيطرة على البشر وعلى المجتمعات تتطلب في الوقت الحاضر وقبل كل شيء الاستخدام الموجَّه للإعلام، فمهما كان جبروت القوة التي يمكن استخدامها ضد شعب ما، فإنها لا تفيد على المدى البعيد، إلا إذا تمكن المجتمع المسيطر من أن يجعل أهدافه تبدو مقبولة على الأقل، إن لم تكن جذابة للمستهدفين.[١٦]

ب. تعويد العقول على معايشة الأنماط المغرية للثقافة الجديدة ومشاهدتها، بإحكام السيطرة على المعلومات وتوظيفها وتعميمها وفقاً لمواصفات محددة، وبمقومات تم اختيارها عملياً، لتعتاد الشعوب عليها وعلى مشاهدتها عن طريق التكرار غير الممل. هذا التعوُّد يمكن له في ظل ظروف معينة أن يُلحق الضرر بالصحة العقلية للإنسان فيصبح أسيراً لعاداته.[١٧]

ت. إعادة تشكيل الحياة الاجتماعية للشعوب على نمط الحياة الغربية، وحثها على المشاركة فيها على نحو نشط، يحقق على مدى معين قولبة الإنسان بحسب النموذج الاجتماعي الغربي، ويغيِّب الصراع الاجتماعي والتركيز على أسطورة التعددية الإعلامية.[١٨]

ث. تعزيز فكرة الانخراط النشط في الثقافة الجديدة، عن طريق إبراز مظهرها الخارجي والثناء على كل من يتبناها ويعمل بموجبها بما يشجع الانتماء إليها، على اعتبار أنها أسلوب للحياة العصرية المهتمة بآخر تقليعات العصر، وبالأشكال الجديدة للمأكولات

[١٦] هربرت، أ. شيللر. **المتلاعبون بالعقول**، مرجع سابق، ص٢٠٦.
[١٧] المرجع السابق، ص١٣.
[١٨] المرجع السابق، ص١٧.

والمشروبات والملبوسات والمتعة والترفيه، والإنفاق في إطار يتجاوب مع الرأسمالية إلى زيادة الاستهلاك من جهة، والتأكيد على قيم المجتمع الرأسمالي من جهة أخرى.[١٩]

٣. تأثير إعلام العولمة في الخصوصيات الثقافية:

ينظر بعض الباحثين إلى إعلام العولمة نظرة إيجابية من حيث إنه يسهم في إثراء المعرفة ونشر الثقافات، وتعزيز التفاهم والتقارب والتفاعل بين الشعوب والثقافات، وتوسيع نطاق التعليم والوعي، واحترام حقوق الإنسان في نشر المعلومات والأخبار والحصول عليها، على أساس أن التفاعل الإيجابي بين الشعوب والدول سوف يرسخ قيماً ثقافية رئيسة مشتركة، تجمع الثقافات في بوتقة واحدة؛ لتكون الثقافات الوطنية مزيجاً من ثقافة دولية تحترم المعاصرة، وثقافة محلية تحافظ على الأصول والمنابع.

في حين ينظر آخرون إليه على أنه هيمنة ثقافية، وتسلط على عقول الأفراد؛[٢٠] أي طغيان ثقافة عالمية واحدة على الثقافات القومية والمحلية المتعددة، بما يشكل خطراً على خصوصياتها، وقد يؤدّي على المدى الطويل إلى ابتلاعها والحلول محلها، مما يستوجب محاربتها والتصدي لها.[٢١]

فإذا كان الصراع الإيديولوجي ولا يزال يستهدف تشكيل الوعي، سواء بتزييفه أو تصحيحه، فإن الاختراق الثقافي المعاصر يستهدف السيطرة على الإدراك من خلال الصورة السمعية–البصرية، من أجل التأثير في الفكر والوجدان والسلوك، عن طريق تنميط الذوق وقبول السلوك، وذلك بتقديم أنماط من المواد الإعلامية والثقافية.[٢٢]

فإعلام العولمة يتضمن بلوغ البشرية مرحلة لانتقال الأفكار والمعلومات والبيانات والاتجاهات والأذواق على الصعيد العالمي، بأقل قدر من العراقيل والضوابط. فلقد فقدت

---

[١٩] السيد، **إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك**، مرجع سابق، ص٧٩.

[٢٠] بوجلال، **إشكالية الوفرة الإعلامية والمعلوماتية في ظل العولمة**، مرجع سابق، ص١١٥.

[٢١] بوزيد، عبد الحليم. "العولمة وآثارها السلبية في البلاد العربية"، **مجلة الإحياء**، كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية، جامعة باتنة، الجزائر، عدد٥، ٢٠٠٢م، ص٣٨٠.

[٢٢] عبد الرحمن، عواطف. "الإعلام العربي بين غياب الديمقراطية والاختراق الثقافي"، **مجلة الدراسات الإعلامية**، عدد٨٨، ١٩٩٧م، ص٢٤.

الدول في ظله القدرة على التحكم في تدفق المعلومات والأفكار والقيم والقناعات في ما بين المجتمعات والأجيال، وفقدت السيطرة على التداول الحر للأخبار والمعلومات، الذي يتم عبر وسائل ووسائط وتقنيات جديدة لم تبرز إلا في التسعينات.[٢٣]

لقد حرصت الحكومة الفرنسية مثلاً على مدّ الشبكات الإذاعية وأطياف الترددات التلفزيونية إلى دول القرن الإفريقي، من أجل تعزيز السيادة الفرنسية، ونشر الهوية الثقافية في الكثير من البلدان الإفريقية، ابتداء من اللغة السائدة في الشارع أو قطاع التربية والتعليم، أو وسائل الإعلام، وصولاً إلى القيم وأنماط الحياة السائدة في المجتمعات العربية والإفريقية، كما أغرقت الأسواق بعدد لا يحصى من الكتب والمجلات والنشرات، ورصدت الجوائز الكبيرة في مختلف التخصصات، وشجعت النوادي والمراكز الثقافية والهيئات على الاهتمام بكل ما هو ناطق بالفرنسية، وأن تكون لغة التواصل الجماعية، ولغة العلم والتصنيع والثقافة والتقنية الحديثة.[٢٤]

والملاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية قامت بشكل كبير من أجل ضرب المصالح الفرنسية والأوروبية عموماً في مختلف أنحاء العالم، وعملت جاهدة على مدّ الجسور الثقافية مع بعض الدول العربية، من خلال فتح مراكز لوكالة الاستعلامات الأمريكية في بعض الدول، كمصر وتونس والمغرب وجنوب إفريقيا وكينيا وتنزانيا، وصارت هذه المراكز بمثابة بوابة للتوغل الأمريكي؛ إذ فتحت الآفاق الثقافية أمام الشعوب، لتنهل من الوعاء الأمريكي بكل ما تحويه من علوم وتقنيات وحداثة، فضلاً عما تحمله من سموم فكرية وإيديولوجية تمجد النموذج الأمريكي، وتسحب البساط من تحت أقدام الثقافة المتجذرة وثوابتها. ووصل الأمر بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تقديم المساعدات المالية والتقنية لإنشاء محطات إذاعية وتلفزيونية في الدول العربية، ومن ثم وقفت هذه الدول عاجزة عن

---

[٢٣] بركات، محمد مراد. "تأملات نقدية لظاهرة العولمة"، **مجلة دراسات**، ليبيا، المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر، عدد٩، ٢٠٠٢م، ص٨١.

[٢٤] فياض، محمد أحمد. "الاستعمار الإعلامي والثقافي وتحديات التعليم في إفريقيا"، الندوة التربوية عن نحو مستقبل أفضل للتعليم في إفريقيا، ودان، ليبيا، ٢٠٠٤م، ص٨.

ملء الوقت المخصص للبث، لعدم توافر البرامج، أو لتكلفة إنتاجها الباهظة، مما أدى بالولايات المتحدة الأمريكية إلى تقديم عدد وافر من البرامج الثقافية والتعليمية إلى هذه المحطات مجاناً، أو بأسعار رمزية. ولنا أن نحلل طبيعة هذه البرامج الإعلامية ومحتوياتها التي تخدم البراغماتية الأمريكية بشكل لا يقدر بثمن، ولا تستطيع الجيوش تحقيقه لو أنها غزت هذه الدول عسكريا.[٢٥]

وبذلك تشكّل الولايات المتحدة الأمريكية في المرحلة الراهنة القاعدة الأهم، والأكثر تأثيراً في المشروع الثقافي العالمي بوجهه الاحتكاري، وقدراته الهائلة، وأدواته الإعلامية المتقدمة التي لعبت الدور الحاسم في نشر الثقافة الاستهلاكية ذات الطابع التجاري في جميع أنحاء العالم وترسيخها.[٢٦] وكل ما وقع ويقع كان يهدف إلى تشويه الثقافات المحلية وتهميشها، وإعادة إنتاج البنية الفوقية المختلفة، بما تتضمنه من تسطيح للوعي وتشجيع للمبادرات الفردية القائمة على الأنانية والاستغلال، وانعدام الممارسات العقلانية، وبث الفوضى والبيروقراطية والرشوة والفساد.[٢٧]

إن تعميم النمط الاستهلاكي الأمريكي الغربي الذي تسود فيه السلع الكمالية والوسائل الترفيهية يشكل الهدف الأساسي الذي تسعى إليه أمريكا بواسطة الاختراق الثقافي، الذي أحدث آليات الهيمنة العالمية المعاصرة، التي تتوّج وتستكمل الدور الذي تقوم به الشركات متعددة الجنسيات، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومجموعة السبعة الكبار، وغيرها، إضافة إلى أن الاختراق الثقافي الاتصالي يقوم بدور تكريس منظومة القيم الوافدة التي تتفاعل داخل المجتمعات النامية والعربية، وتسري ببطء وثبات داخل منظومة القيم المحلية، لتفتتيها من الداخل وإحلال القيم الأمريكية الغربية ذات الطابع الاستهلاكي الترفيهي، بهدف إعاقة نمو تلك المجتمعات النامية والعربية المستقلة اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً.[٢٨] ويشير "آرجوميدو" Argumedo إلى أن الأخبار المتعلقة

[٢٥] المرجع السابق، ص١٠.
[٢٦] بوجلال، **إشكالية الوفرة الإعلامية والمعلوماتية في ظل العولمة**، مرجع سابق، ص١١٤.
[٢٧] عبد الرحمن، **الإعلام العربي بين غياب الديمقراطية والاختراق الثقافي**، مرجع سابق، ص٢٦-٢٧.
[٢٨] المرجع السابق، ص٢٤-٢٥.

بالشؤون الداخلية والدولية والأفلام وأشرطة الفيديو والمجلات إلخ، تروِّج لأنماط من الحياة التي تعمل على تحويل ونقل المعايير والقيم المحلية أو الإقليمية، لتصبح ذات صفة عالمية.[٢٩]

وفي هذا السياق فقد أدّى ظهور البث الإعلامي المباشر في العالم العربي إلى خلق العديد من الإشكالات والمخاوف، وإثارة الكثير من الجدل حول المخاطر الثقافية والاجتماعية التي ستهدد منظومة القيم العربية التراثية والمعاصرة، من خلال البرامج التلفزيونية الوافدة عبر البث المباشر، خصوصاً في ظل عدم احترام المواثيق الدولية، التي نصت على ضرورة الالتزام باحترام الطابع المميز للثقافات المختلفة.[٣٠] وأبرز هذه المواثيق إعلان اليونسكو سنة ١٩٨٧، وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة ١٩٨٢، المتضمن مبادئ وقواعد تنظيم استخدام الأقمار الصناعية في البث التلفزيوني المباشر.[٣١]

ويلاحظ أن هناك انتهاكاً متواصلاً للدول الكبرى لهذه المواثيق، كما أن استخدام الأقمار الصناعية يثير إشكالية أخرى لها خطورتها، تتمثل في كيفية التوثيق بين الحقوق الاتصالية للأفراد والجماعات ومبدأ الحفاظ على الهوية الثقافية الوطنية لكل شعب.[٣٢] وبهذا يتضح جلياً أن لا أحد ينكر أن في العولمة تحدياً رئيسياً للخصوصيات الثقافية، فإذا كانت فرنسا نفسها تخاف من الهيمنة الأمريكية فكيف بغيرها، فهذا "جاك تيو" في كتابه "فرنسا المستعمرة" يقول: "إن من أوجه نجاح الإمبراطورية الأمريكية هي أنها استطاعت أن تُوجَد في أنحاء العالم، وذلك عن طريق الإنسان المرتبط بالمنتجات الثقافية الأمريكية."[٣٣]

---

[٢٩] بوجلال، **إشكالية الوفرة الإعلامية والمعلوماتية في ظل العولمة**، مرجع سابق، ص١١٥.

[٣٠] عبد الرحمن، **الإعلام العربي بين غياب الديمقراطية والاختراق الثقافي**، مرجع سابق، ص١٩.

[٣١] بوجلال، **إشكالية الوفرة الإعلامية والمعلوماتية في ظل العولمة**، مرجع سابق، ص١١٦.

[٣٢] عبد الرحمن، **الإعلام العربي بين غياب الديمقراطية والاختراق الثقافي**، مرجع سابق، ص٢٠.

[٣٣] جاب الله، أحمد. "الخصوصيات الثقافية وموقعها في الحوار بين الحضارات"، **مجلة الإحياء**، عدد٦، ٢٠٠٢م، ص١٧١.

ثالثاً: مشكلات الإعلام العربي في ظل تحديات إعلام العولمة

أتاحت تكنولوجيا الاتصال أمام الأفراد فرصة هائلة للاختيار بين وسائل ومضامين كثيرة ومتنوعة، وبهذا ترسخّت فكرة المتلقي النشط القادر على الاختيار، ومنح التأييد أو الرفض أو المقاومة للوسائل أو الرسائل الإعلامية، كما برزت فكرة دور المتلقي في بناء معاني الرسائل الإعلامية التي تعرَّض لها وتفسيرها. وخلصت العديد من البحوث إلى أن التأثير الإعلامي عملية مقسمة بالتساوي بين منتج الرسائل الإعلامية والمتلقي، إذا كانت عمليات الاتصال والتأثير هي بالأساس عملية ثقافية. ومع التسليم بأن كل فرد هو عضو في جماعة ثقافية، فإن بحوث الإعلام والاتصال التي اعتمدت على مقاربة التحليل الثقافي Cultural Analysis Approach قد توصلت إلى نتائج بالغة الأهمية حول الاتصال والإعلام، فالأفراد يختارون ويستخدمون وسائل الإعلام في ضوء ثقافتهم، كما أن الجمهور ليس تجمعاً بسيطاً للأفراد، بل إن هناك أسساً ثقافية واجتماعية يجب أن تؤخذ بالحسبان عند دراسة عمليات التأثير. كذلك فإن مضمون وسائل الإعلام هو أيضاً منتج ثقافي، وقد أثبتت دراسات عديدة أن الجمهور المحلي يفضل التعرض للوسائل ذات المضامين المحلية، لأن المنتجات الإعلامية المحلية تكون محمية –كما يقول "إيثيل دي سولا بول" Ithiel de Sola Pool– عن طريق اللغة والتأييد الاجتماعي وثقافة المجتمع؛ أي إن ما تقدمه يعكس الثقافة المحلية، ويتفق مع مكوناتها الأساسية.[٣٤]

ولا يخفى أنَّ الثقافة نفسها مصدر خلاف مستمر، ذلك أن الثقافة متحصنة، ولا تتغير بسهولة، فالجوانب الجوهرية للثقافة ترسخ من خلال عمليات تأهيل اجتماعي داخل المجتمعات، وبهذه الطريقة تتغلغل الثقافة عميقاً في نفسية الفرد، وتتخذ أساساً وطيداً مسلَّماً به من الافتراضات والقيم، ولا يمكن تبديلها بسهولة،[٣٥] وذلك بعكس ما

[٣٤] شومان، محمد. **عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية**، بيروت: (د.ن)، ٢٠٠٠م، ص٩٤.

[٣٥] ملي، أسعد. "التداعيات الإقصائية المتصاعدة لعولمة الإعلام وأثرها على الهوية الثقافية"، **مجلة جامعة دمشق**، مج٢٦، عدد٣، ٤، ٢٠١٠م، ص٤٨٤.

أورده "فوكوياما" في كتابه "التمزّق الكبير"؛ إذ يرى أن الثورة المعلوماتية أحدثت على غرار الثورة الصناعية سابقاً الانحلال في القيم العميقة في البنية الاجتماعية.[٣٦]

لهذا يرى بعض المفكرين أنه ليس هناك ما يدل على أن إعلام العولمة يهدف بالضرورة إلى محو الهويات الثقافية المعتمدة، لأن العولمة ليست بحاجة لكي تفرض نفسها، وأن تفرض نظاماً ثقافياً معيناً على كل أنحاء العالم، وأنه من المستحيل محو التعددية والخصوصية الثقافية، لأن أي شعب له حضارته وقيمه الخاصة به، يستطيع أن ينتقي من الثقافة الأخرى، أما الذي يأخذ ثقافة الآخر بقدرها، فليس عنده أصلاً ثقافة أو حضارة أو قيم. ولا شك في وجاهة هذا الرأي في بعض الجوانب، إلا أنه ينبغي عدم الأخذ به في مجمله، لأن الانتقاء يتوفر في ظل توافر عدة شروط، من أهمها وجود البديل المنافس، وفك القيود عن حرية التفكير، وتنوير الوعي. وهذا ما جعل الإقبال على الثقافة المستوردة لا يتم من خلال الإيجابيات والمكتسبات الحضارية النافعة، وإنما يتم على حد تعبير "برهان غليون" Burhan Ghalioun "من خلال فضلات هذه الثقافة."[٣٧]

ويعاني الإعلام العربي من جملة من المشكلات، في سعيه لحماية النسيج الاجتماعي للأمة العربية والإسلامية، وتأصيل جذور الهوية الثقافية العربية الإسلامية، والتفاعل مع الثقافات الأخرى في ظل إعلام العولمة، غير أن الإحاطة بها ليس من الأمر السهل، وهو ما يجعلنا نركز على أبرزها:

١. مشكلة تدني الخبرة في فن الإعلام:

القضية الإعلامية حساسة وفعّالة، والباحث عن دور الإعلاميين العرب يدرك غيابهم فيها، مما أعطى المجال لغيرهم لتشويه الصورة العربية الإسلامية لدى الرأي العام. وفي الحقيقة فإنَّ العرب قد غابوا وغُيِّبوا عن هذا الدور؛ بمعنى أنهم لم يعرِّفوا بأنفسهم. ولا بدّ من أن نعترف أن الأبواب قد أُغلقت أمام الإعلام العربي في الوقت نفسه، وحال بينه

---

[٣٦] محمود، حواس. **التكنولوجيا والعولمة الثقافية**، بيروت: المنارة، ٢٠٠٣م، ص٢٤-٢٥.

[٣٧] السيد، **إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك**، مرجع سابق، ص٧٥.

وبين اكتساب أية خبرة في هذا المجال، فلعقود ثلاثة على الأقل كانت أبواب مجالات الاتصال العام موصدة في وجوه العرب والمسلمين، وتحتكرها نخبة علمانية لا تتوفر على الحد الأدنى من الولاء للخصوصيات الثقافية العربية والإسلامية، ومن ثمة فإن الإعلاميين العرب بحاجة إلى تكوين في المجال الإعلامي، في الوقت الذي يسيطر فيه اليهود على الإعلام في الغرب، ويقومون بتشويه صورة العرب والمسلمين ومحو خصوصياتهم الثقافية، فعملية الإعلام العربي غاب عنها فن العمل الصحفي، وانعدمت فيها الخبرة بفنون الخطاب الإعلامي، وغدا الخطاب الإعلامي العربي أقرب إلى العمل الدعائي المباشر، بينما الفن الإعلامي الفعّال هو الذي يستطيع أن يبلِّغ رسالته بطرق غير مباشرة، ويشكِّل العقل على نحو إيجابي دون تعسف في التعامل مع هذا العقل، ولا يقف مع القارئ أو المتابع موقف الوصي الذي يريد أن يفرض شيئاً على الآخرين، فالعرب لم يدخلوا بعد عصر الإعلام والاتصال، ولم يكتسبوا خبرة عالية ولو توفرت لديهم إمكانياته. وبهذا تصبح النتيجة أن الانطباعات يصنعها غيرنا ولا نصنعها نحن، ومن ثم فالآخرون يعرّفوننا بعيون غريبة عنا، ويقدمونا حسب أهواء المتحكمين في قنوات الإعلام. هذا هو الخطر الذي لا سبيل لنا لتداركه إلا بمحاولة اكتساب الخبرة، وخوض هذا المجال حتى نخاطب العصر بلغته.[٣٨]

٢. مشكلة الهيمنة الأجنبية على القنوات الفضائية العربية:

لقد تم تعويد القنوات الفضائية العربية على تقديم برامج ومواد إعلامية ثقافية أجنبية ومحلية مشابهة لها، تتضمن محتويات وقيماً استهلاكية رديئة، تتناقض مع القيم الثقافية الوطنية، ومع تطلعات الجماهير الشعبية إلى التقدم والتحرر وصيانة موروثها الثقافي. فلقد انغمس الإعلام العربي في تغطية قيم اجتماعية مستوردة من الغرب أو محلية مشابهة لها، على حساب القيم الاجتماعية الحقيقية في البلدان العربية، وأهملت المشكلات القومية والاجتماعية الأساسية، وسعت لإنتاج مضمونٍ إعلاميٍّ مخدِّرٍ للمجتمعات العربية. وهذا

[٣٨] مكبرايد، سون، وآخرون. **أصوات متعددة وعالم واحد**، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١م، ص٢٦٩.

ما أدى إلى غربة المواطن العربي في وطنه، وتشويه قيمه الاجتماعية الأصلية.[٣٩] وإشعاره بأنه لا صلة أو لا رابط بما يراه أو يقرأه أو يسمعه في قنوات تلفزيونية وإذاعية وفي صفحات الصحف من مضمون، ويدرك بأن ما تغطيه هذه الوسائل من مضمون هو غير واقعي ولا صلة له بواقعه، وفي حالة قبول ما تغطيه تلك الوسائل تراه مندفعاً للثورة على قيمة وطرائق معيشته، فيصبح غريباً عن مجتمعه وحتى عن نفسه.[٤٠]

وتبدو الهيمنة الثقافية الأجنبية على القنوات الفضائية العربية واضحة في أدب الخيال العلمي الغربي، وذلك بحكم مصدره الياباني-الأوربي- والأمريكي، فالأسماء أكثرها أجنبية، وملامح الشخصيات أيضا غريبة عن ملامح الإنسان العربي، ويبدو أن أعمال الخيال العلمي للأطفال جدير بأن يكون سفيراً ناجحا للثقافة العربية، كما أن غياب الشخصيات العربية في أعمال الخيال العلمي العربي التلفزيونية والسينمائية ستؤدي إلى قتل الطموح عند الأطفال العرب، لأنه يلغي في وعيهم أي وجود عربي محتمل على خارطة العالم والمستقبل معاً، فالطفل العربي بذلك يترسب في حسه مع تراكم الأعمال الخيالية العلمية المستوردة أن الفضاء قد خلق لقوم آخرين، وما نحن الأمة العربية سوى متفرجين ومراقبين لما يحدث نتأثر ولا نؤثر، وليس لنا دور في المستقبل، وانطلقت سفينة الحضارة الجديدة ونحن فيها في درجة الخدم والعبيد والمجدفين، وكل شيء أمامنا ألغاز وطلاسم. فانعدام بطل عربي يُقتَدى به، أو شخص يتقمص شخصيته... سيؤدي إلى إجهاض الهدف المرجو تحقيقه من خلال استثمار المعلومات المتحصل عليها.[٤١]

كما تبدو الهيمنة الثقافية الأجنبية على القنوات الفضائية العربية بكل وضوح في تغييب الثقافة المحلية، وإحلال غيرها بدلاً منها؛ إذ إن معظم البرامج والأفلام التي تعرضها كثير من القنوات الفضائية العربية مستوردة من الغرب، وتتناول أحداثاً ووقائع غريبة عن

---

[٣٩] دجاني، نبيل. "البعد الثقافي والاتصالي في ضوء النظام العالمي الجديد"، **مجلة المستقبل العربي**، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، عدد٢٢٤، ١٩٩٧م، ص٦٢.

[٤٠] بوجلال، **إشكالية الوفرة الإعلامية والمعلوماتية في ظل العولمة**، مرجع سابق، ص١١٨.

[٤١] زكي، عمار. "نماذج من الخيال العلمي في تلفزيون الأطفال العربي"، **مجلة الرواسي**، باتنة، الجزائر، جمعية الإصلاح التربوي والاجتماعي، عدد١٣، ١٩٩٦م، ص٤٠-٤١.

واقعنا العربي، وأصبح الطفل معتاداً عليها، وللأسف فإنه يعرف عن "أوسكار" و"السيدة ملعقة" أكثر مما يعرف عن الخنساء وزوجات الرسول ﷺ هذا على سبيل المثال. وهناك البرامج التي من المفترض أن تتناول وقائع الأطفال، وأحداث التاريخ العربي والإسلامي، كي يستطيع الطفل أن يتحصن بثقافته المحلية، ويحافظ على خصوصياته التاريخية والجغرافية.

ومع أن الحضارة العربية والإسلامية سجّلت للتاريخ الإسلامي لواء المعرفة بنماء روحي ومادي، إلا أنه بمجيء قرون مرَّت الأمة بمراحل متغيرة، وانتقل لواء المعرفة لأمم أخرى. بطبيعة الحال فإن المجتمعات قد تتقدم أو تتقهقر في مراحل تاريخها، ومع مستجدات العصر الثقافية والاقتصادية والتكنولوجية، أصبحت الأمة الإسلامية تأخذ أكثر مما تعطي، وتستورد وتقلد أكثر مما تصدر وتبدع من وسائل الإنتاج، مما أضعف روح الانتماء لدى الإنسان العربي. فمع التطور التكنولوجي انتشرت القنوات الفضائية العربية ناقلة ثقافة الآخرين بما تحمله في طياتها من أخلاقيات هدامة وقنابل موقوتة، أصبحت تؤثر في الطفل المسلم اجتماعياً وسلوكياً وثقافياً، لا سيما أن المادة الثقافية التي تبثها القنوات الفضائية أصبحت تجذب حواس الإنسان وقدراته بعامَّة، وليس الطفل المسلم فقط. فثقافة الحداثة تنشد غسل الأدمغة، بعد أن أصبح العالم قرية صغيرة بفعل ثورة الاتصالات، ومن الحداثة ما يفكِّك المشاعر والقيم الإنسانية في رحلة المتع المادية الزائفة، التي تمنح العقل الإنساني معايشة الغيبوبة.

٣. مشكلة تحديات حرية الإعلام:

تطرح حرية الإعلام نفسها إشكالية ذات أوجه متعددة. ويشير عضو هيئة تحرير لوموند ديبلوماتيك "سيرج حليمي" Serge Halimi إلى أنه في ظل الشركات الاحتكارية العملاقة ووجود ملياردیرات من أمثال: (بيل جيتس)، و(روبرت مردوخ) و(جان ال جاردير)، و(تيد تيرنر) و(كونراد بالك)، وغيرهم ممن يملكون الصحف ودور الطباعة التي نكتب نحن فيها ولها، كما يملكون الإذاعات وقنوات التلفاز التي نتحدث

ونظهر فيها؛ وبتعبير آخر؛ في مثل هذا العالم الشمولي الكلياني، وهذا الكون الإجمالي، هل ما نزال نحن –الصحفيين والمفكرين– قادرين على أن نؤدي دورنا المعارض للسلطة، وأن نكون صوت من لا صوت لهم.

كل هذا وغيره يكشف عن الأوجه المختلفة لإشكالية حرية الإعلام، فثمة مخاوف وتحديات تتعلق بمدى قدرة وسائل الإعلام والاتصال الحديثة المرتبطة بالشركات الإعلامية العملاقة على أن تدافع عن مصالح المواطن، وهل ستتحول وسائل الإعلام والاتصال إلى أبواق دعائية للشركات الاحتكارية متعددة ومتعدية الجنسية، التي يبلغ عددها ٢٠٠ شركة، وتسيطر على أكثر من ٣٠% من الإنتاج المحلي الخام في العالم. في هذا الإطار فإن إشكالية العلاقة بين سطوة الإعلان وحرية الإعلام ستطرح نفسها بقوة أكبر.[٤٢]

٤. مشكلة الانقسامات الداخلية:

ونقصد بذلك الانقسام داخل المجتمعات العربية بين نخب قادرة على استخدام تكنولوجيا الاتصال والإعلام والمعلوماتية، والاستفادة منها؛ أي نخب معولمة إذا جاز الوصف، وأغلبية غير قادرة على ذلك، ومهمشة اجتماعياً واقتصادياً وإعلامياً، وربما ثقافياً.[٤٣]

رابعاً: سبل المواجهة والتصدي والبديل المؤهل لذلك

١. سبل المواجهة واستراتيجيات التصدي:

من أجل مواجهة إعلام العولمة والتصدي له وفضح مقاصده، لا بدّ من تبني استراتيجية بعيدة المدى ومتعددة الجوانب، وتخصيص الإمكانيات المادية اللازمة لتنفيذها. وما يجب أن يكون في مقدمة أولويات هذه الخطة هو تحصين الشبان، وذلك بتعبئتهم سياسياً وثقافياً وروحياً، وتوعيتهم بالأخطار التي يستهدفها إعلام العولمة، والبدء في صنع

[٤٢] ملي، **التداعيات الإقصائية المتصاعدة لعولمة الإعلام وأثرها على الهوية الثقافية**، مرجع سابق، ص٤٨٢.
[٤٣] المرجع السابق، ص٤٨٥.

الإعلام المحلي البديل، الذي يلبي حاجات شبابنا النفسية، ويتوافق مع قيمنا وتراثنا الديني والحضاري، معبراً عن مشكلات الشباب وهمومهم وأفكارهم واستغلال التقنيات الإعلامية الحديثة القادرة على استقطاب الشباب، وإبعادهم عن رذائل الإعلام الغربي، وإعطاء الفرص للشباب للمشاركة في صنع المادة الإعلامية، والتعريف بثقافتهم والبحث عن الأسباب العميقة التي تجعلهم يتهربون من وسائل الإعلام المحلية إلى الإعلام الغربي، خاصة في ما يتعلق بالقنوات الفضائية من أجل تدارك الأمر.[٤٤]

ولا بدّ لهذه الاستراتيجيات المتبناة في الميدان من أن تشغل مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية وفي مقدمتها الأسرة، بشرط أن تستند إلى خطة توعية مبنية من طرف متخصصين في مجال التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها، ومتمتعين بدرجة عالية من الكفاءة، مع مشاركة وسائل الإعلام المحلية المختلفة، دون أن ننسى دور المدرسة في المراحل التعليمية المختلفة، وخاصة في مرحلة التعليم الثانوي والجامعي لقدرتهما في هذه المرحلة على المزج الحضاري الذي تبين فيه بكل موضوعية الإسهامات العربية والإسلامية في العلوم والفنون.[٤٥]

ومن السُّبل الكفيلة بذلك –أيضاً– تحجيم الغزو الثقافي الغربي، وحصره في أضيق الحدود الممكنة، وبذلك يتسنى تخفيف حدته وإضعاف فاعليته، عن طريق الإشراف الواعي والمباشر على كل ما ينشر ويبث في مختلف وسائل الإعلام الأجنبية. ولا نقصد هنا بالإشراف الواعي أن نضع حَجْراً على حرية الفكر طالما يقدم بموضوعية كاملة، فبهذه الإجراءات البسيطة وغيرها تصبح وسائل الإعلام المختلفة أدوات للتربية، ورعاية الشباب، ووسائل للمحافظة على الخصوصيات الثقافية لكل دولة، أما إذا ترك الحبل على الغارب لهذه الوسائل والأدب الرخيص والفن الماجن الخليع، وأداة للترويج للجريمة والرذيلة، فإننا لن ننتظر من هذه الوسائل إلا أن تكون أداة لهدم عقائد الشباب وتشويه تفكيرهم وتلويث أخلاقهم، وتدمير شخصيتهم الإسلامية ومحو معالمها، مما يستدعي

[٤٤] بركات، **تأملات نقدية لظاهرة العولمة**، مرجع سابق، ص١٠٧.

[٤٥] الجديدي، المهدي أحمد. "الشباب والأمن الاجتماعي"، **مجلة دراسات**، ليبيا، عدد٩، ٢٠٠٢م، ص١٧٢.

انفتاحاً ثقافياً واعياً على العالم، مرتكزاً على الخصائص الفكرية والوجدانية لهذه الأمة، وعلى أصالتها الثقافية، وهذا يتطلب بناء السياسة الثقافية على تخطيط سليم للتبادل الحضاري مع العالم، ويقوم على الأخذ والعطاء، وينتبه لمحاولات الغزو الثقافي وطمس معالم الخصوصيات الثقافية.[٤٦]

فمن واجب الأمة أن تحمي خصوصياتها الثقافية وتدرأ عنها الأخطار التي تهددها أياً كانت، ولا يجوز أن يكون ذلك بالانغلاق والتقوقع، كما لا يكون بالانفتاح غير المشروط ولا المدروس، لأن النتائج الناجمة عن ذلك وإن لم تهدد وجود الأمة فإنها خطيرة جداً على البنية الفكرية والثقافية والاجتماعية، وقد تترك من الآثار السلبية ما يحتاج إلى عقود مديدة لمحوها أو تجاوزها.[٤٧]

وفي هذا السياق قامت إيران والصين وسنغافورة بتجربة التخطيط الناجحة، بالسعي بقوة لتقييد وصول برامج الحاسوب إلى مواطنيها، وهدفها هو إبعاد ما يبثه الأمريكيون من وجهات نظر سياسية وعادات وتلوث إخباري.[٤٨]

إن هذا السلوك كما يذكر عزت السيد أحمد –على عدم صوابيته المطلقة– فإنه قد يكون ضرورياً ومهماً، ولكنه ينبغي أن يكون واعياً عندما يمارس، ذلك أن إغلاق الأبواب والمنافذ أشد خطراً من فتحها.[٤٩]

والوعي المطلوب هو الوعي الحقيقي لا الوعي الزائف. فالوعي الحقيقي هو الذي يؤدي إلى تحقيق الانتماء؛ إذ إن الوعي الصادق هو الوعي الذي ينتج هويته ولا يتلقاها جاهزة في صورة حتميات مفروضة عليه، سواء من الخارج أم من الموروث، وهو الذي يستطيع أن يمارس التفكير في قلب الفكر كما يذهب "مارتن هيدجر" Martin

[٤٦] عواشرية، **الأمن الثقافي العربي وتحديات إعلام العولمة**، مرجع سابق، ص٤٠-٤١.

[٤٧] الشيباني، عمر التومي. **الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب**، تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٧م، ط٣، ص٦٥٥.

[٤٨] بركات، **تأملات نقدية لظاهرة العولمة**، مرجع سابق، ص١٠٧.

[٤٩] عزت، السيد أحمد. "العولمة والغزو الثقافي"، **مجلة الفكر العربي**، عدد٦٩، ١٩٩٩م، ص١٦٧-١٧٧.

Heidegger ما دام كل فكر متشكل فكراً قد تموضع بالفعل وتحول من مرحلة الحركة والممارسة الإبداعية إلى حالة الثبوت والسكون.[٥٠]

إن التفكير بإمكانية وجود المتلقي النشط أو المتلقي الواعي القادر على اختيار وسائل الإعلام والاتصال التقليدية والحديثة، في إطار المكونات الأساسية لثقافته، يسمح لنا بإعادة التفكير في نظريات النموذج الوظيفي التقليدي، وكذلك مقولات مدرسة التبعية نحو الإمبريالية الاتصالية والإمبريالية العسكرية والإمبريالية الثقافية والغزو الثقافي. إن إعادة النظر لا تعني رفض حقيقة وجود عدم توازن وعلاقات الاستغلال بين أطراف عملية العولمة، ولكنها تعني التحليل النقدي الواعي لطبيعة التحولات المتسارعة في العالم، والنظر إلى تفاعلات الإعلام والاتصال والثقافة في إطار عملية العولمة، من خلال أطر نظريات ومقارنات جديدة، تسمح لنا بفرز خيارات وبدائل متعددة ومتنوعة. وفي هذا السياق يمكن افتراض أن الإعلام في إطار العولمة قد يؤدي إلى إثراء التعددية الثقافية في العالم؛ إذ ستتيح تكنولوجيا الاتصال إمكانيات أكبر لكل الثقافات الفرعية في التعبير عن هويتها الثقافية، والتفاعل مع بقية ثقافات العالم. وبالإمكان افتراض أن قوة العناصر المكونة للثقافات المختلفة وعمقها قد تدفع الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات والمتنافسة – بحكم قوانين السوق والتنافس على كسب الجمهور– إلى احترام الجهود والثقافات المختلفة، وتقديم مضامين وصور تحترم هذه الثقافات.[٥١]

ومواجهة تحديات إعلام العولمة ورسم صورة المستقبل الجديرة بخصوصياتنا الثقافية العربية الإسلامية، لن تتحقق في أفق حياتنا المعاصرة دون المواجهة الصريحة، والفاعلة لقضايا محورية ماثلة، مثل تعميم ديمقراطية الثقافة، وتوفير الحرية الكاملة للإبداع والمبدعين، وضرورة الربط العضوي بين التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، إضافة إلى تيسير التدفق الثقافي العربي، ودعم كل أسباب التعاون والتواصل بين المبدعين في الأقطار العربية والإسلامية، وبين المؤسسات الثقافية. ولا ننسى قضية تحرير نظرتنا إلى

[٥٠] عواشرية، **الأمن الثقافي العربي وتحديات إعلام العولمة**، مرجع سابق، ص٤٢.
[٥١] شومان، **عولمة الإعلام والهوية الثقافية العربية**، مرجع سابق، ص٩٥.

تراثنا الثقافي وربطه بحاضرنا، وتوظيفه كقوة تعزز هويتنا الثقافية في مواجهتها لتحديات إعلام العولمة.[٥٢] فضلاً عن ذلك، فإن خصخصة وسائل الإعلام العربية والسماح للقطاع الخاص بالاستثمار في هذا المجال قد يعظِّم فرص التطور الديمقراطي، ويدعم مؤسسات المجتمع المدني.[٥٣]

٢. البديل الإعلامي العربي المؤهل للتصدي لتحديات إعلام العولمة:

كل ما سبق يبرز بلا شك حاجتنا إلى إعلام بديل، يعيد بناء ما قد سبق هدمه وتخريبه، وإلا فإننا ننذر بكارثة مروعة لا تبقى ولا تذر، تشمل عقيدة الأمة وأخلاق شبابها ومسيرتها في التاريخ.

فما البديل؟ إنه في رأينا الإعلام العربي الإسلامي الحر.

فما المقصود بالإعلام العربي الإسلامي الحر؟ وما السُّبل المؤدية إلى تحقيقه؟

أ. الإعلام الإسلامي الحر:

الإعلام الذي نرى فيه علاجاً لمشكلات إعلامنا العربي هو ذلك الإعلام الذي يتخذ من عقيدة الأمة وثوابتها الراسخة منطلقاً أساسياً في إعداد البرنامج، وبث الأخبار وتوجيه الحصص (البرامج) والأنشطة الإعلامية المختلفة وجهة تخدم الأمة، وتعزِّفها بدينها ورجالها، وترسِّخ فيها التحرر من التبعية والخنوع والذلة.[٥٤] وحتى لا يلتبس الأمر نوضح ما نعنيه بالإعلام الإسلامي الحر:

لا نقصد بالإعلام الإسلامي الحر ما يعرف اليوم بالإعلام الديني الذي يتمثل في خطب المساجد والصفحات الدينية والإذاعية والتلفزيونية، والمسلسلات والأفلام الروائية الدينية، فهذه الأمور كلها جزء بسيط مما يقوم به الإعلام الإسلامي من أعمال. فالذي

---

[٥٢] السيد، **إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك**، مرجع سابق، ص٧٩.

[٥٣] ملي، **التداعيات الإقصائية المتصاعدة لعولمة الإعلام وأثرها على الهوية الثقافية**، مرجع سابق، ص٤٨٥.

[٥٤] فلوسي، مسعود. "حاجتنا إلى إعلام إسلامي فاعل"، **مجلة الرواسي**، جمعية الإصلاح الاجتماعي والتربوي، باتنة، الجزائر، عدد٤، ١٤١٢هـ، ص٤-١٧٢.٥

نقصده من مصطلح الإعلام العربي الإسلامي الحر هو ذلك الإعلام الذي تسري فيه الروح الإسلامية مبدأً ومنهاجاً تصوغ توجيهاته وتحرك وسائله وأدواته، ولا تتدخل في توجيهه قوى أخرى حتى تقيده وتتسلط عليه، ولا يهم بعد ذلك نوع العمل الإعلامي، مقروءاً كان أو مسموعاً أو مرئياً؛ إذ لا فائدة من برنامج ديني تقدمه امرأة متبرجة، أو رجل تبدو عليه مظاهر التغريب، وسمات الانحلال.

ب. السُّبل المؤدية إلى تحقيق إعلام عربي إسلامي حر:

يتطلب تحقيق الإعلام الإسلامي الحر العديد من الإجراءات، نوجزها في النقاط الآتية:[٥٥]

١. ميدان الإعداد والتأهيل البشري: وذلك بإعداد الكفاءات البشرية المتخصصة في الإعلام، وتأهيلها فكرياً وخلقياً وعملياً ومهنياً؛ وذلك ليس بالأمر السهل القليل التكاليف، بل هو عمل كبير يتطلب جهوداً عظيمة وطاقات ضخمة. ولا بد لإعداد الإعلامي العربي الإسلامي وتأهيله من أن يتكامل في الجوانب الآتية:

– الإعداد الأصولي والفكري: من خلال تعريفه بالأصول العقدية والفكرية والتشريعية للإسلام؛ وذلك بوساطة مجموعة مختارة من المقررات الشرعية والفكرية في القرآن الكريم والتوحيد والتفسير والحديث والفقه والثقافة الإسلامية.

– الإعداد اللغوي والتذوقي: بتدريبه على بعض المقررات في اللغة نحواً وصرفاً وفقهاً، وتمكينه من فنون القول والبيان والتعبير، والأسلوب الإعلامي والتذوق الأدبي.

– الإعداد التخصصي والمهني: وهنا لا بدّ من أن يتكامل فيه الجانب النظري والجانب العملي التطبيقي، ولا بدّ من اكتساب المتمهن الإعلامي للمهارات العلمية والمهنية المطلوبة منه في واقع الممارسة الميدانية.

---

[٥٥] المرجع السابق، ص٧–٨.

– **الإعداد الثقافي العام**: وهذا يتطلب الإلمام بالواقع الذي يعيش فيه من حيث قضاياه ومشكلاته وأحداثه وتياراته، كما يتطلب الإلمام ببعض المعارف والعلوم المعينة له على فهم هذا الواقع وتحليله، وهي علوم وثيقة الصلة بالإعلام، كعلم النفس وعلم الاجتماع والعلوم السياسية والاقتصادية واللغات الأجنبية.

٢. **ميدان التأصيل والتنظير العلمي**: وذلك بإنشاء معاهد ومراكز البحوث الإعلامية العربية ودعمها، حتى تؤدي ما هو داخل في اهتماماتها بالإعلام العربي الإسلامي، واستقطاب الباحثين والدارسين الذين يتميزون بالإخلاص والوعي العربي الإسلامي والخلفية الشرعية، والاستيعاب العلمي للتخصص الإعلامي، إلى جانب تمتعهم بالمنهجية في التفكير، والتمكّن من أساليب البحث العلمي ووسائله. ولا بدّ أن تسير الجهود وفق خطة مدروسة معتمدة على أسلوب العمل الجماعي المشترك بين الدول العربية، ومدعمة بإمكانات مادية وبشرية ملائمة.

٣. **ميدان الإصلاح الواقعي**: وذلك بالإسهام الإيجابي في إصلاح أوضاع المؤسسات الإعلامية العربية القائمة، وترشيد مسارها الإعلامي بالنصح أو الدعم أو المشاركة العملية. ويبدأ ذلك بمحاولة إيجاد قنوات تواصل وتعاون بين المهتمين بشؤون الدعوة والإعلام الإسلامي على المستوى الوطني والدولي العربي، والعاملين في المجال الإعلامي، من أجل تضييق الفجوة بينهم.

٤. **ميدان الإنتاج العلمي المتميز**: لا بدّ لذلك من المبادرة إلى إنشاء مؤسسات وشركات عربية إسلامية للإنتاج والتوزيع الإعلامي في مختلف المجالات (طباعة وصحافة ونشر وتلفزيون وفيديو وتسجيلات صوتية وشرائح مصورة وأفلام سينمائية) وغيرها، وهذا يتطلب طاقات بشرية عديدة، وتكاليف مادية باهظة. فهذا الاستثمار سيعود بمكاسب مادية ومعنوية لا نظير لها. أما في ما يخص حرية الصحافة فهي مشكلة لم ينته النزاع حولها في العالم كونها وليدة مشكلة الديمقراطية عموماً، ولا يمكن حلها ما لم تحل أزمة الديمقراطية برمتها في المجتمع كله.

خاتمة:

تلخصت الفكرة الأساسية الإجمالية لهذا البحث في التعريف بأثر إعلام العولمة في الخصوصيات الثقافية العربية، ومحاولة تأكيد أن هذه الأخيرة تواجه تحديات كبيرة في ظل ذلك، نتيجة للمشكلات التي تواجه الإعلام العربي وتعوقه من حماية النسيج الاجتماعي للأمة العربية والإسلامية، وتأصيل جذور الهوية الثقافية العربية الإسلامية، والتفاعل مع الثقافات الأخرى في ظل إعلام العولمة.

وأوضحنا تصوراً جديداً لاستراتيجيات مواجهة تلك التحديات، واقترحنا البديل الإعلامي الذي نعتقد أن بإمكانه تحقيق ذلك، من خلال تفعيل السُّبل الكفيلة بالخروج من مشكلاته، وجعل الحداثة طريقاً للبناء المنشود، وربط الماضي بالحاضر، من أجل المستقبل، دون معاداة لمحاور ثقافة الأصالة، وذلك في إطار الاحترام، والاعتراف بالآخر.

أما عن التطبيق العملي للبديل الإعلامي المقترح، فليس في الواقع العربي والإسلامي ما يؤشر على التجسيد العملي له، بأسلوب مخطط هادف بأكمل وجه. غير أن المستقرئ للجهود المبذولة من طرف بعض التجارب الإعلامية العربية والإسلامية في هذا السياق يمكن أن يلمس مواقف تعكس صوراً لبعض التطبيقات العملية المحتشمة للإعلام العربي الإسلامي الحر. وبالرغم من أهمية تلك الجهود، إلا أن ذلك لم يصل إلى حد التطبيق العملي المطلوب لتلبية حاجة الخصوصيات الثقافية العربية، في ظل تحديات إعلام العولمة من ذلك. ويبقى الأمر بحاجة إلى تجسيد، وتفعيل عملي أكثر، وهو ما يتطلب الإيمان بأن مبدأ تنوع الثقافات، على غرار تنوع الكائنات الحية، ملك مشترك يجدر بالبشر كافة الحفاظ عليه، لأنه إذا كانت بعض الهيئات والمنظمات العالمية تسعى للمحافظة على بعض الحيوانات النادرة وحمايتها من الانقراض فمن باب أولى حماية التراث الثقافي والحضاري من ذلك مهما كان صاحبه.

لقد عانينا على مر التاريخ من الهيمنة الثقافية بشتى أنواعها، ولا يزال الغرب يكثّف حملاته من أجل إعادة تشكيلنا وفقاً لتطلعاته، ونحن لم نتمكن سوى من التفكير في

حدود تيارات الانغلاق أو الذوبان في الآخر، وهما خياران ليسا في صالحنا. ولما كان إعلام العولمة حتمية لا مفر منها، فإنه يتعين على الشعوب أن تتضامن في ما بينها لتحريره من سلبياته، والاستفادة من إيجابياته، ولن يكون ذلك ممكناً إلا بمحاربة بعض السمات التي أصابت الشخصية العربية بالاغتراب، واستهلاك قشور الحضارات الأخرى بدل لبّها.

لذلك فإن الموقف الصحيح الذي نراه أكثر وجاهة تجاه إعلام العولمة، لا يتجسد بالاندماج المطلق والاستجابة لكل مقتضياته، ولا بالانزواء والرفض والاتهام لكل تجلياته، وإنما يتجسد ويفعَّل من خلال إدارة العملية الثقافية والاقتصادية والإعلامية بالتواصل مع الآخر، فبإمكاننا أن نولِّد صيغتنا الخاصة من العولمة على قاعدة الثوابت الإسلامية، من خلال إعلام بديل عربي إسلامي حر.